



**SHAYKH ADAM  
ABDULLAHI AL-ILORY**

*in the*

# **Tableau *of* Immortality**

**Volume II**

*Edited by:*

**Razaq 'D. Abubakre**

# المركز النيجيري للبحوث العربية

مكتب الرياض

**The Nigerian Center for Arabic Research**

Riyadh Office



**SHAYKH ADAM ABDULLAHI AL-'ILORY  
IN THE  
TABLEAU OF IMMORTALITY**

Edited by  
Razaq D. Abubakre

Volume II

Published by:

The Nigerian Center for Arabic Research

P.O. Box 5701

Post Code: 11432

Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

Tel: +9662585075

© University of Ilorin, Ilorin. Nigeria

First Published 2012

All rights reserved

ISBN: 978-977-493-109-3

## النقد الاجتماعي لدى الشيخ آدم عبد الله الإلوري

أحمد أبو بكر أباجيو عبد الواحد أديسي

إذا بحثت عن كلمة "الإلوري" في محرك البحث Google فستجد في أقل من ثانية، مئات نتائج بحث وعشرات المواقع التي جعلت هذا الشيخ مصدرا رئيسيا لمضمونها مدحا وقدحا. هذه الشهرة لعلها تختصر بعض ما نريد أن نقوله عن تأثير الشيخ وجهاده وجهوده في خدمة الأمة، حيث يعتبر اليوم واحدا من أهم الشخصيات الذين عملوا من أجل صالح الأمة ورفع شأن اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ودفع عجلة تقدمها إلى الأمام. فنظرا للأوضاع السيئة في البلاد من الناحية الفكرية والاجتماعية، وأملا لتصحيحها بقدر الاستطاع كالداعية الإسلامي، فقد أسهم المرحوم العلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري إسهامات فعالة في تصحيح الأفكار الخاطئة والتقاليد الجاهلية في بيئته النيجيرية، وترك ما لا يستهان به من الإنتاج العلمي والأدبي وكان النقد الاجتماعي جزءا منه لا يتجزأ من جراء هذا الوضع السيء. ينهض هذا المقال برصد هذه الظاهرة في بعض إنتاجات هذا العملاق حيث نعرض الجانب النقدي الاجتماعي ومعياره في ذلك ثم ندرسه دراسة علمية نستطيع من خلالها إبراز ما له من القدرة اللغوية الباهرة، والسلطة البيانية النادرة التي منحها الله بها.

### النقد الاجتماعي في التقاليد والعادات

تعد التقاليد والعادات من الأمور الاجتماعية الأساسية التي أدركها الإسلام عند كل أمة من أمم العالم، وجل هذه العادات والتقاليد يورث من الأجداد والآباء، وليس جميع ما يورث منهما يكون خيرا أو شرا. فأقر

الإسلام بعض تلك العادات والتقاليد ما دامت موافقا للأسس والمبادئ الشرعية وخادمة للمصالح الإنسانية، وأنكر ما لا يصلح منها واستبدلها بخير منها.

وقد تعرّض الإلوري لكثير من القضايا الاجتماعية الحساسة التي شاعت في الدول العربية والإفريقية وما زالت يطورها أصحابها ويتوارثها جيلا عن جيل بغضّ النظر عن ما في بعضها من الخطورة من الناحية الدينية.

وقام الشيخ بنقد تلك الاتجاهات نقدا دينيا موضوعيا، وحاول فيها بعض التعديلات التي تتسجم مع الأفكار التي جاء بها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال السلف الصالح.

ومن العادات الجاهلية عند العرب قبل مجيء الإسلام:

تبرج النساء: فقد عالج الإلوري هذه القضية معالجة جيدة جدا حيث أورد

الآيات القرآنية التي دلت على منع تبرجهن يقول: (وقرن في بيوتكن

ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) الأحزاب ٣٣.

وعلق الإلوري على تلك الآية ببيان حالة المرأة العربية ومشيتها التي

تظهر مفاتنتها قبل مجيء الإسلام، فيقول: "كانت نساء العرب على

هذه الجاهلية حتى جاء الإسلام وفرض الحجاب على نساء النبي

وعلى نساء المؤمنين"<sup>٢</sup>

واستطاع الإلوري أن يبين اختلاف العلماء حول هذه القضية، وما

زال حتى الآن تحدث ضجة كبرى في أوساط الناس والعلماء لأنها

قضية امتزجت بالعادات حيث إن لكل قوم عاداته قبل الإسلام، وظلّ

الإلوري ينتقد هذا الأمر وقسم الحجاب إلى خاص، وهو ما فرض

على نساء النبي مع عدم نكاحهن لغيره من بعده، ونوعية أخرى هي

الحجاب العام المفروض على نساء المؤمنين، ونصه في القرآن

الكريم: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) الأحزاب ٥٩.

وقد اعتمد الإلوري في المناقشة على أدلة من الكتاب والسنة مرجعا أهمية الحجاب في عدم وقوع المرأة في الفتن أو إفساد الفرد والمجتمع، وعلى الرغم من هذا فلا يزال الخلاف قائما حول الحجاب فيقول: "ومن هنا ظهر أن المفروض على نساء المؤمنين هو عدم التبرج بالزينة وأنه يجوز لهن الخروج إلى مصالحنهم ومزاولة أعمال تناسبهن سواء أكان ذلك في الليل أم في النهار من غير تبرج بزینتهن ولا الخروج على آدابهن الإسلامية".<sup>٣</sup> مواقف متعددة بين متوسطين ومفرطين وآخرين مؤولین، "ومن الأمور التي يتناولها دعاة تحرير المرأة حجاب المرأة المسلمة وقضية الحجاب هذه قضية دينية بحتة وهي من الثوابت التي لا يقبل المناقشة والجدال، والحجاب أمر من الله ورسوله".<sup>٤</sup>

التعصب القبلي: إن هذه العصبية لا تزال تستفحل وتتفاقم في هذه الأيام حيث ظهرت هذه العصبية بين الشماليين والجنوبيين وبين أصحاب الطوائف المختلفة من جنوب وشمال ولم تقتصر في ذلك بل انتشرت بين الأقوام الذين انتسبوا إلى سلالة واحدة إذ يتعصب كل منهم لرأي قومه وعقيدتهم وتنتهي بهم إلى الخصومة العصبية التي لا تجدي ولا تنفع.

وعلى ذلك الأساس احتفل العلامة الإلوري بنقد هذه العادة القبيحة ووجهها توجيهها إسلاميا، يقول الإلوري:

ومن آثار الجاهلية التي لا تزال قوية في نيجيريا المسلمة هي التفرقة العنصرية بين القبائل المسلمة، فترى البرناوين يرون أنفسهم أحسن قبائل نيجيريا ثم يأتي الفلانيون يعتقدون أنهم سادة أهل البلاد، فيجب أن يعضوا عليها بالنواجذ مهما غلا الثمن، ثم نرى قبائل هوسا أنهم أحسن من قبائل يوربا، ولم تستطع الروح الإسلامية حتى الآن أن تنزع من قلوبهم هذه العصبية حتى في المجال الديني. ومن مظاهر ذلك أنه قلما تجد هوساويا أو فلاتيا يصلي وراء إمام يورباوي حتى ولو كان يعيش بين أوساط يورباوية في بلاد يوربا.<sup>٥</sup>

وقد قاوم الإلوري مقاومة عنيفة هذه العنصرية التي تسربت إلى صفوف العلماء وغيرهم في المجتمع، حتى لا نجد مظهرا من مظاهر الحياة إلا وقد توغلت فيها وقضت على عدد كبير من الجمعيات والأسر والنظم السياسية، وقد عدها العلامة آدم الإلوري من عناصر الداء والبلاء التي قعدت بأمتنا عن الرقي والتقدم وجعلها من القائمة التي دعا الناس إلى إزالة عقباتها في طريقنا وقد نقدنا نقدا سلبيا حيث يقول: "إزالة التمييز العنصري بين مسلمي الشمال والجنوب"<sup>٦</sup>، وقد درس الإلوري هذه النزعة القلبية دراسة استطاع أن تستوفي حقها وبين أوبئتها وذكر منشأها، والجوانب التي يتعصب فيها كل قبيلة من يوربا أو هوسا أو إيبو بين أنفسهم وغيرهم من السلالات الأخرى، وقد استخدم أربع صفحات في كتابه (الإسلام اليوم وغدا) في تطوية هذه القضية الممقوتة.

ج- الاحترام والتواضع: كان الاحترام أمرا لازما عند كل قوم غير أن الأسلوب الذي يتوخاه كل قوم يختلف عن آخر، وذلك أيضا يعد من

التقاليد والعادات الاجتماعية، كان الناس يمارسونه من بين أنفسهم قبل مجيء الإسلام الذي رسم طريقاً آخر لممارسة هذا التواضع والاحترام.

إن التواضع لم يحرمه الإسلام ولكنه أباحه في وجه لا يؤدي صاحبه إلى الإفراط والغلو، وقد نظر الإلوري إلى هذه القضية الاجتماعية ونقدها على ضوء الرؤية الإسلامية، لأنه لا يزال بعض أفراد المجتمع في رواسب الجاهلية من أمر الانبطاح والسجود للتحية، وهي قضية محبة خاصة عند الأمراء والملوك، وما زال بعض العلماء يروجونها ويستحسنونها عن جهالة وعمية يوردون لتأييد أفكارهم بأحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي لا أساس لها من الصحة.

وقد قسم الإلوري وجهات نظر العلماء حول ذلك إلى ثلاثة:

\* العلماء الذين يستحسنون الانبطاح والسجود للتحية وهم ليسوا بأهل دراية على ذلك وإنما يحكمون على جهل وعميان.

\* ومنهم من يؤولون بعض الأحاديث قائلين بأن القصد من السجود لغير الله لا لأجل التقديس والعبادة وإنما يقصد بذلك التواضع والاحترام واستدلوا بحديث صحيح مؤول: "إنما الأعمال بالنيات".

\* ومن العلماء من عرفوا حقيقة هذا الأمر ولا يرضون بفعله ولكن لم يجدوا مضراً من منعه، وكرهوه كراهية قلبية.

يقول الإلوري: "ومن العلماء من يطوون قلوبهم على كره هذه العادات وعلى استهجانها ولكنهم لا يملكون من الأمر شيئاً ولا يجدون مفراً ولا ملجأ من فعلها لمن لا يرضى بفعله وأنا من أولئك النفوس الذين يرضخون قسراً على فعلها لهم".<sup>٧</sup>

وقد تتعلق بهذه القضية عادات خلع النعال للتحية، وقد نقدتها الشيخ آدم عبد الله وجعلها من رواسب الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما هي من نزوات الشيطان وشهوات السلاطين. والأسوأ من الأمر هو أن الغلو من التحية أدى بأهله إلى إظهار للمحترمين ما ليس في قلوبهم، حيث يمدحونهم بما ليس فيهم ولا يرون في حركاتهم بأسا ولو كانت سيئة يكتُمون لا يملكون لتصحيح عقائدهم، يعدّ كل ذلك من الاحترام. وقد جرتهم القضية كذلك إلى أن ما يسمى بالحياء عندهم هو السكوت في مجال الحق. وقد نظم الإلوري لتقديم هذه القضية قائلا:

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| ويح قومي جهلوا معنى الحياء | وأساؤوا فيه ختما وابتداء     |
| هكذا قد جهلوا التواضع      | وبنوه في سجود وانحناء        |
| خلع نعل جعلوه واجبا        | لهم قبل وصول للفناء          |
| كل من خالفهم في هذه        | وصفوه بالذي منه براء         |
| جعلوه كافرا لدينهم         | واستعدوا لقتال واعتداء       |
| والتواضع الذي نعرفه        | مثل ما في العقل أو شرع السما |
| بقبول الحق من كل أحد       | واجتناب جرثوب الخيلاء        |
| واحترام الغير في حد النهي  | واحتقار النفس لا كالحمقاء    |
| والحياء الحق إن تسألني     | ما يقيك العار عند العقلاء    |
| ويقي من كل فحش زمنا        | غير هذا لا يسمى بالحياء      |

وقد علق على ذلك البروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا في تحليله للقصيدة: "تمثل القصيدة ظاهرة هامة للأدب الإسلامي، تبرز في وجوها في تغيير المنكر وإصلاح ما شاع من عادات وتقاليدهم ممقوتة نشأت من رواسب الشرك والوثنية، ومن السذاجة البدائية حين اختارها الناس منهج حياتهم ومبلغ

مقصدهم، وتتجلى قيمتها الفكرية من حيث تكامل وجهيها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما نادت إلى محاربة منكر الأخلاق وشنعتها بالدعوة إلى مألوفها النبي وحرص على التمسك بالفضائل والمكارم، والثابت أن مثل هذا التفكير والتعبير يرضي الله ورسوله والمؤمنين والإنسانية لما في النص من تقدير جميل للمسؤولية وأدائها دون خشية لومة لائم وقدح قاده.<sup>٨</sup>

د- المنافسة بين العربية والانجليزية: إن المنافسة بين العربية والانجليزية لمن القضايا الاجتماعية الخطيرة جدا في نيجيريا، وكل من اللغتين أرادت أن تثبت وجودها وتفرض أهميتها وأولويتها من غيرها، وما زال أنصار كل منها ينتصرون للغة التي انتسبوا إليها ويدافعون عنها على حساب اللغة الأخرى محتجين بأدلة علمية أو عقلية.

وقد كان الإلوري ينتقد القضية على أساس من العلم وألف على ذلك كتابا سماه الصراع بين العربية والانجليزية في نيجيريا. وقد عالج في الكتاب ما يتعلق بمكانة العربية في نيجيريا قبل الاستعمار الغربي، وذكر الأنصار التي اتخذها الغرب وسيلة إلى مقاصدهم، وحدد الآونة التي بدأ هذا الصراع بين اللغتين وبين الإلوري موقفه من اللغتين ليتبين للناس أنه ينكر لغة قوم لأنه لا ينتمي إليها أو لا يتعلمها وإنما يريد أن يثبت الحقيقة، ولهذا نرى الشيخ آدم يطلق سراح بعض تلاميذه ليلتحقوا بالمدارس الانجليزية، وكان هو نفسه أتقن هذه اللغة إلى حد يؤهله لقراءة المجلات والجرائد الانجليزية وللدفاع عن نفسه والتعبير عما في خلجاته وضميره.

يقول الإلوري:

ولقد شرطنا لطلابنا أن يتزودوا بالقدر الذي

يكفيهم من الانكليزية قبل أن يأتونا أو بعد أن

يتخرجوا من عندنا، ففعلوا ذلك ونجحوا حتى

ظهر نحو ثمانين في المائة ممن تخرجوا عندنا  
منهم من صاروا قضاة ومحامين ورجال السلك  
الدبلوماسي ودكاتير الجامعات فصار لوم الناس  
لنا هباء منثوراً<sup>١</sup>

وقد حاول الإلوري أن يبين هذه النقطة في تأليفه أن اللغة أرادت بكل  
عزم قاهر أن تتغلب على اللغة العربية، وأخذت كل وسيلة إلى القضاء عليها،  
بل أراد أصحابها من المستشرقين والدوليين أن يشككوا الناس في الصلة  
الوثيقة بين العربية والإسلام، لذلك رأى أنه من الواجب على العلماء  
المخلصين أن يتحمسوا للعربية وأن يعتزوا بها في كل مكان وأن يدافعوا  
عنها بكل غال ونفيس.

كان هذا الصراع شديداً جداً وبارزاً في المجتمع، الأمر الذي جعل  
بعض مديري المدارس العربية يمنعون دراسة اللغة الانجليزية في معاهدهم  
ودهاليزهم إلى يومنا هذا، ذلك أنهم عدّوها من اللغة النصرانية التي تؤثر في  
الأولاد تأثيراً سلبياً، وقد تغير عقليتهم الدينية، ويكتفي هؤلاء العلماء بإرسال  
أبنائهم إلى الدول العربية لمواصلة دراساتهم الجامعية هناك.

وأصحاب اللغة الانجليزية لا يقبلون من لا يفهم الانجليزية أو لم  
يحصل على شهادة تؤهله للالتحاق بالجامعة الانجليزية، وهذه القضية ظاهرة  
اجتماعية يتناولها الناس بجهات نظر مختلفة، ولعل السبب في ذلك راجع إلى  
الأسباب الجذرية التي تدعو كل فرد إلى الالتحاق بها، منهم من تعلم العربية  
لأجل الدين والدعوة وذلك الفوج الذي انتمى إليه الإلوري حيث يقول: "إن  
عمل الدعوة إلى الله ليست بضاعة تعرض على الحكومات العربية لنيل  
الحظوظ الفانية"<sup>١</sup>.

ومنهم من أراد أن يتعلم العربية ليعيش عيشة غنية فأمثالهم يفضلون الامتزاج بين الاثنين، ولا عيب في ذلك حسب نظر الإلوري، وقد وفق بين هذه الأنظار حيث لم ير العيب في الفريقين وإنما العيب عنده هو في إفراض تعليم لغة دون أخرى أو تفضيلها على غيرها، حتى وإن كان للغة فضل فإن العربية هي أسمى اللغات وأفضلها لأنها لغة كلام الله والدين.

وهناك قضايا اجتماعية أخرى عالجها الإلوري في مختلف مؤلفاته وأهمها: أعياد الجاهلية، الجنازة كالوليمة، مزاعم الجاهلية، محاربة الأسماء العربية في غرب إفريقيا وغيرها من العادات والتقاليد، ولكن لم أتمكن من إحاطتها بالدراسة في مثل هذه الحلقة الضيقة، وإن شاء الله سأتناولها في لقاءات قادمة بدقة، علما بأن الإلوري عالج هذه القضايا الاجتماعية كلها كما أشرت إليها معالجة منبقة من المنظور الديني والعلم.

#### الخاتمة

تلك هي صفحات قامت بدراسة نقدية للتقاليد والعادات الاجتماعية والتي كانت جانبا من جوانب أعمال الشيخ آدم بن عبد الله الإلوري، واستطاعت المقالة أن تبين الرؤية الدينية التي هي المعيار الأساسي عند الشيخ لمعالجة تلك القضايا الاجتماعية، وأهم هذه القضايا التي تطرق إليها الإلوري، تبرج النساء، وقضية النزعة القبلية وماهية التواضع والاحترام ثم المصارعة بين العربية والانجليزية. وكانت هذه القضايا مبعثرة في مختلف مؤلفات الشيخ ثم درست ما تمكنت من الإحاطة بها بالإيجاز لأن المقام لا يسمح بمدّ النفس والبيان، والله قصد السبيل.

الهوامش والمراجع

١. آدم بن عبد الله الإلوري، الإسلام وتقاليد الجاهلية، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٧، ص ٢٦.
٢. آدم بن عبد الله الإلوري، الإسلام وتقاليد الجاهلية، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٧، ص ٤٢.
٣. آدم بن عبد الله الإلوري، الإسلام وتقاليد الجاهلية، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٧، ص ٤٤.
٤. الدكتور محمد عثمان أبوبكر وماهر هارون، مقالة بعنوان "حقوق المرأة من خلال المنظور الإسلامي".
٥. آدم بن عبد الله الإلوري، الإسلام وتقاليد الجاهلية، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٧م، ص ٤٦.
٦. آدم عبد الله الإلوري، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط-١، ١٩٨٥م، ص ٩٥.
٧. آدم بن عبد الله الإلوري، الإسلام وتقاليد الجاهلية، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٧م، ص ١٥٤.
٨. البروفيسور عبد الباقي أغاكا، الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، مركز نشر المخطوطات العربية بالورن، ط ٢، ٢٠٠٣م، ص ١٩٠.
٩. آدم عبد الله الإلوري، الصراع بين العربية والانجليزية في نيجيريا، دار التوفيق النموذجية للطباعة بالأزهر، ص ٢٤.
١٠. المرجع نفس ص ١٧.